

# آيات الارتفاع في القرآن الكريم

## دراسة تحليلية

Verses of Elevation in the Holy Quran: A Analytical Study

م. د. ميسون حيدر طه الحياي

Lecturer Dr Mayson Hayder Taha Al Hialy

وزارة التربية - مديرية تربية الرصافة الأولى - قسم شمال بغداد - مدرسة ثانوية زها

حديد للمتفوقات

The ministry of education \_ Directorate of first Rusafa \_ North  
Baghdad Department \_ Zaha Hadid secondary school for  
.talented girls

[Maysoohnayder609@gmail.com](mailto:Maysoohnayder609@gmail.com)

الكلمات المفتاحية : رفع - القرآن الكريم - علا - العلو - النسخ - الإزالة

Keywords : Raising - The Noble Qur'an - Elevation - Loftiness -  
Abrogation



### المستخلص :

وردت كلمة (رفع) في القرآن الكريم، وهي تعيد معنى علا، أو الرفع، والعلو، وقد اخترت الحديث عنها دون المعاني الأخرى التي منها ما يفيد النسخ أو الإزالة، وقد جمعت الآيات التي وردت في ذلك، وقسمتها إلى مباحث أوليتها عنايتي، مستعينة بما تيسر لدي من المصادر والمراجع. فتناولت معنى (رَفَعَ، والرفع) في اللغة والاصطلاح، ودرست معاني (رفع) الواردة في بعض الآيات، ومنها: رفع الطور فوق بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام، رفع قواعد البيت الحرام في مكة المكرمة، ودور إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام في ذلك، ورفع الرسل وما فيه من تفضيل بعضهم على بعض عند الله تعالى، ومنع الخوض بشأنهم عند الناس منعا للإفراط أو التفریط والعلو، ورفع المساجد والاهتمام بها وبنائها وإعمارها بالمصلين، ورفع سمك السماء، وما في ذلك من إعجاز.

### Abstract

The word “raising” (rafa’a) appears in the Holy Quran, signifying elevation, height, or loftiness. I have chosen to discuss this meaning rather than other meanings, some of which imply abrogation or removal. I have compiled the verses that contain this meaning and divided them into sections, each of which I have given my full attention, utilizing the available sources and references. I have addressed the meaning of “raising” (rafa’a) in both its linguistic and technical senses, and I have studied the meanings of “raising” (rafa’a) as they appear in some verses, including: the raising of Mount Sinai above the Children of Israel during the time of Moses (peace be upon him); the raising of the foundations of the Sacred House (the Kaaba) in Mecca, and the role of Abraham and Ishmael (peace be upon them) in this; the raising of the prophets and the distinction God has made between them, prohibiting people from discussing their status to prevent exaggeration or negligence; the raising of mosques and the importance of their construction and filling them with worshippers; and the raising of the heavens and the miraculous nature of these events .

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين وبعد... لقد وردت كلمة (رفع) في القرآن الكريم، وهي تفيد معنى علا، أو الرفع، والعلو، وقد اخترت الحديث عنها دون المعاني الأخرى التي منها ما يفيد النسخ أو الإزالة، وقد جمعت الآيات التي وردت في ذلك، وقسمتها إلى مباحث أوليتها عنايتي، مستعينةً بما تيسر لدي من المصادر والمراجع.

تتكون هذه الدراسة بعد هذه المقدمة من مبحثين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع التي أفدتُ منها، وقد رتبتهما على حروف المعجم.

ففي المبحث الأول: تحدثتُ عن معنى (رَفَعَ، والرفع) في اللغة والاصطلاح.

أما المبحث الثاني: فدرست فيه معاني (رفع) في خمسة مطالب:

المطلب الأول: رفع الطور فوق بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام...

المطلب الثاني: رفع قواعد البيت الحرام في مكة المكرمة، ودور إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- في ذلك.

المطلب الثالث: رفع الرسل وما فيه من تفضيل بعضهم على بعض عند الله تعالى، ومنع الخوض بشأنهم عند الناس منعا للإفراط أو التفريط والغلو.

المطلب الرابع: رفع المساجد والاهتمام بها وبنائها وإعمارها بالمصلين.

والمطلب الخامس: ختمتُ به بما ذكرته الآية الأخيرة من رفع سمك السماء، وما في ذلك من إعجاز.

## المبحث الأول: مفهوم الارتفاع لغةً واصطلاحاً

لكي تكون لنا رؤية واضحة عن مفهوم الارتفاع في القرآن الكريم لا بد من التعريف بهما في اللغة والاصطلاح.

### المطلب الأول: الارتفاع في اللغة:

رفع يرفع رفعاً، والاسم منه الرافع، وهو من الأسماء الحسنى، والله هو الذي يرفع المؤمن بالإسعاد وأوليائه بالتقريب. والرفع ضد الوضع، وهو نقيض الخفض. ورَفَعَ: صار رفيع المنزلة مرتفع القدر، والرافعة في قوله تعالى: "ثِي فِي فِي {الواقعة، الآية: 3} تخفض أهل المعاصي وترفع أهل الطاعة، وفي الحديث النبوي " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْفَعُ الْعَدْلَ وَيَخْفِضُهُ " (الإمام مسلم، 1374هـ: 1/162)، أي: يعليه على الجور وأهله مرةً ويخفضه مرةً أخرى ابتلاءً لخلقه، وهذا في الدنيا، والعاقبة للمتقين، وارتفع الشيءُ بنفسه ارتفاعاً إذا علا. والرَفْعُ: تقريبُ الشيء من الشيء،





فائدة: قال بعضهم: (كانت نفوس بني إسرائيل من ظلمات عصيانها تخبط في عشواء حالكة الجلباب،

وتخطر، من غلوائها وعلوّها، في خلتي كبرٍ وإعجابٍ. فلما أمروا بأخذ التوراة، ورأوا ما فيها من أثقال التكاليف، ثارت نفوسهم، فرفع الله عليهم الجبل، فوجدوه أثقل مما كلفوه، فهان عليهم حمل التوراة). (أبو حيان، 1420هـ: 395/1 - 396) رابعاً- أهم المسائل النحوية للآية:

الإعراب عند النحويين تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليه، ومن هنا كان الاختلاف بالمعاني التي تحملها المفردة متأثرة بما دخل عليها من العوامل والمعنى الراجح في حالة الرفع مختلفٌ عنه في حالة النصب، فعندما يكون الاسم مرفوعاً يحمل معنىً غير وقوعه منصوباً، فقولنا: جاء الرجل، فيه فرقٌ كبيرٌ عن قولنا: شاهدتُ الرجل. وفي القرآن الكريم في قولنا: براءةٌ من الله، معنىٌ جاء في حالة الرفع على طريقة الخبر، بينما جاء في قراءة النصب بتقدير فعل قبله وهو أشد وقعاً من الخبر. فالإعراب يتغير بتغير الحركات في آخر الكلام، أو ما ينوب عنها من الحروف أو الحذف، ولم يتم هذا التغيير إلا لما صاحبه من التغيير في المعنى. وإذ: الواو: عاطفة، إذ: اسمٌ مبني على السكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكروا. ميثاقكم: ميثاقٌ: مفعول به وهو مضاف، والكاف في محل جر بالإضافة، والميم للجمع. ورفعنا: الواو: حالية، رفعنا: فعل وفاعل. فوقكم: مفعول فيه منصوب على الظرفية المكانية، متعلق برفعنا وهو مضاف، والكاف مضاف إليه، والميم للجماعة. الطُّورُ: مفعول به منصوب. خُدُّوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل. ما: اسم موصول بمعنى الذي مبني على السكون في محل نصب مفعول به. آتيناكم: فعل ماضٍ وفاعل ومفعول به، أما المفعول الثاني فمحذوف تقديره "وآتيناكموه"، فهو إذن الهاء. وجملة "آتيناكم" في محل نصب حال من "ما". بقوة: جار ومجرور في محل نصب حال متعلق بمحذوف "آتيناكم الذي قدر بـ آتيناكموه". واذكروا: الواو: عاطفة، اذكروا: فعل أمر وفاعله "الواو". ما فيه: ما: سبق تعريفه، فيه: جار ومجرور. لعلكم: لعلٌ: من الحروف المشبهة بالفعل، الكاف: اسمها، والميم للجمع. تنتقون: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر لـ لعل. (العكبري، (د. ت): 71/1؛ والصافي، 1418هـ: 200/1)

خامساً- المعنى العام للآية:

يذكر -جلّ وعلا- محمداً (ﷺ) بموقف بني إسرائيل المخزي لهم، وما كانوا عليه من التردد والتذبذب، فهم لا يؤمنون بعهودهم، ولا يحفظون وعودهم، ليس مع الناس وإنما حتى مع أنبيائهم، بل ومع الله -جلّ وعلا-، ويذكر القرآن بأحد مواقفهم الرئيسية من الإيمان الذي لم يلتزموا به، مع



تكون المسألة قلبية أو فكرية، يكون الأمر أهون، ومن ذلك الحب أو المحبة، سواء منها ما كانت متعلقة بفطرة الإنسان، إذ جُبِلَ على العجلة، أو من حب عبادة الأصنام أو الأوثان، أو الأشياء، ولربما الأشخاص، كما ألفه بنو إسرائيل في مصر قبل الخروج، وعادوا إليه بعد أن نجّاهم -جلّ وعلا- من فرعون. أمّا حب العجل، فقد كان تعبيراً عن انحرافهم، وسوء طويّتهم، وقد يكون ذلك جبلة في أنموذج قَدّمه -جلّ وعلا- للناس، تعبيراً عن استغواء الشيطان وأعوانه ممّن اختاروا الطريق الآخر حبّاً بالمخالفة، وطاعة للشيطان. (الشوكاني، 1414هـ: 133/1؛ وابن عاشور، 1984م: 609/1)

-وقوله: عَجْ عَمَجَجٌ، ضد الإيمان، وقد كفر بالله كفراً. وجمع الكافر كفار وكفرة وكفار أيضاً، مثل جائع وجياح، ونائم نيام. وجمع الكافرة الكوافر. والكفر أيضاً: جحود النعمة، وهو ضد الشكر. كفر النعمة، أي: لم يشكرها. ويقال لأهل دار الحرب: قد كفروا، أي: عصوا وامتنعوا. والكفر أربعة أنحاء: كفر الجحود مع معرفة القلب، كقوله ﷻ: وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم وكفر المعاندة: وهو أن يعرف بقلبه، ويأبى بلسانه. وكفر النفاق: وهو أن يؤمن بلسانه والقلب كافر. وكفر الإنكار: وهو كفر القلب واللسان. وإذا ألجأت مطيعك إلى أن يعصيك فقد أكفرتة، أي: بسبب كفرهم، فالباء سببية، أي: أن حب العجل كان سبب كفرهم، وسبب استحقاقهم للعقوبة أو للعقوبات في الدنيا والآخرة. (الفراهيدي، 356/5؛ والجوهري، 1987م: 708/2؛ والشوكاني، 1414هـ: 134/1)

ثانياً- المناسبة لما قبلها وما بعدها:

جاءت بئس مناسبة لحالهم المذموم في عدم الإيمان والتصديق بما أخذ الله تعالى عليهم من الميثاق بالسمع والطاعة والالتزام.

ذكّرهم -جلّ وعلا- بالنعم الجليلة التي أسبغها عليهم، فلما تناسوها، ذكّرهم بما نقمه عليهم من الأعمال المخالفة لأمره -جلّ وعلا- من مثل: كفران النعم، ونقض الميثاق، والاعتداء في السبت... وغيرها. ثم ذكّرهم بما أصابهم من الذلّة والمهانة والمسوخ، وكانت سنّة الله -جلّ وعلا- في كل من صدّ عن سبيل الله وعادى الرسل وعصاهم، واستمرّ المخالفة ولو كانت ضد أمر الله، وعصيائاً له. (رشيد رضا، 1990م: 320/1؛ والصابوني، 1997م: 70/1)

ثالثاً- أهم القضايا الأسلوبية والبلاغية للآية:

في قوله تعالى: غم فذ فذ فذ فذ. نوع من التبكيت والإهانة، والاستخفاف بالعقلية المخاطبة التي تمثل عقلية اليهود المنحرفة عن الهدى والإيمان الصحيح إلى التمرد على الأنبياء والتكبر عليهم ومخالفة ما نزل عليهم من الأمر الإلهي؛ لأن الشيطان قد حجب الإيمان الحق عن قلوبهم

وبصائرهم وزين لهم مكابرةً وعنادًا ما جُبلوا عليه من المخالفة والعناد. (الزمخشري، 1987م: 166/1؛ وابن عاشور، 1984م: 612/1)

وفي قوله: "ضمّ تشبيهه بليغ (محيي الدين ديب، 2003م: 148/1) إذ شبّه حبه للجل وعبادته بشرب الماء دون الأكل، وحذف أداة التشبيه والمشبه به (الشوكاني، 1414هـ: 134/1).

وقيل: هي استعارة مكنية (أحمد مطلوب، 1975م: ص133) إذ شبّه حبّ عبادة العجل بمشروب لذيذ سائغ الشراب، وطوى ذكر المشبه به ورمز بشيء من لوازمه وهو الإشراب على طريق الاستعارة المكنية، ويراد بهذه الاستعارة وصف قلوبهم بالمبالغة بحب ما لذّ من الشراب. (رشيد رضا، 1990م: 320/1)

وفي تذييل الآية بقوله: "قد قم كجّ. قدّم جواب الشرط فيّ فج فد فذ فمّ على فعل الشرط؛ لإفادة معنى التبكيت في الأولى، ونفي الإيمان عنهم في الثانية. وإسناد الأمر إلى الإيمان فيه تهكم. (الزمخشري، 1987م: 166/1؛ وابن عاشور، 1984م: 611/1)

رابعًا- أهم المسائل النحوية للآية:

تقدم إعراب الجزء الأول من هذه الآية إلى قوله تعالى: "صدّ (ص6 من البحث). واسمعوا: الواو عاطفة، اسمعوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعل. قالوا: قال: فعل ماضي مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعل. سمعنا: فعل ماضي وفاعله. وعصينا: الواو عاطفة، عصينا مثل سمعنا. وأشربوا: الواو عاطفة، أشرب: فعل ماضٍ لما لم يُسمّ فاعله مبنيّ على الضمّ، والواو نائب فاعل، والجملة في محل نصب حال. العجل: مفعول به منصوب بالفتحة. بكفرهم: الباء سببية، كفر مجرور وهو مضاف، والهاء مضاف إليه، والميم للجماعة. قل: فعل أمر والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت. بئسما: بئس: فعل ماضٍ جامد يفيد الذمّ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، ما: اسم موصول في محل نصب تمييز. يأمركم: فعل وفاعل ومفعول به، والفاعل يعود على إيمانكم بعده. إيمانكم: إيمان: فاعل مرفوع وهو مضاف، والكاف مضاف إليه، والميم للجماعة. إن: حرف شرط جازم. كنتم: فعل ماضٍ ناقص مبنيّ على السكون في محل جزم وهو فعل الشرط، وقيل هو جواب الشرط؛ إذ عدّ "بئسما يأمركم به إيمانكم" فعلًا للشرط. واسم كان هو التاء في كنتم في محل رفع. مؤمنين: خبر كان منصوب بالياء. وقيل: إن جواب الشرط على القول بأن كان فعل الشرط محذوف تقديره "إن كنتم مؤمنين، لم تقتلون أنفسكم" والله أعلم. (العكبري، (د.ت): 94/1؛ والصافي، 1418هـ: 201/1)

خامسًا- المعنى العام للآية:

خاطب القرآن بني إسرائيل، والمقصود يهود المدينة، والكلام من باب "إياك أعني فاسمعي يا جارة"، فقال: اذكروا الميثاق الذي أخذته -جلّ وعلا- عليكم بالعمل بما شرّعه لكم في التوراة فنقاعستم، فرفع الله فوقكم الجبل، جبل الطور الذي تعرفونه مهذبًا إياكم بالعذاب والاستئصال، وطلب منكم الإيمان، والامتثال، وسمع والطاعة، فمن خوفكم على أنفسكم وكرهيتكم للموت آمنتم وأجبتكم بالسمع، إلا أنه كان سمعًا مجردًا، إذ سمعتم الأقوال والأوامر والنواهي فقط، ولم تستجيبوا لها، ولم تعملوا بموجبها، بينما سارعتم لعبادة العجل كأن حبه قد ملأ أجسادكم، وعبادته قد ملكت قلوبكم ومشاعركم، فأين ما تدعون من الإيمان؟! وأي إيمان هذا الذي جعلكم تعبدون الأوثان؟! وختمت الآية بأسلوب يفيد التهكم والتقبيح لإيمانهم وأعمالهم بل لكل شيء فيهم، وليكون بعد ذلك الذم خليفًا بهم، وبمن جاء وراءهم ممن لا يزالون يعملون بمشورة اليهود، ويعلمون الولاء لهم. وفي تكرار القصة وما فيها من الميثاق، ورفع الطور، والأمر بالطاعة والالتزام تفيد التنبيه على أن موقف اليهود من النبي (ﷺ)، والقرآن ينزل عليه، هي طريقة أسلافهم ممن عادى الوحي، وعادى موسى (ﷺ)، وهو إعلان لا مزحة فيه، يؤكد أنّ الفرع يتبع الأصل، والولد نسخة من أبيه، وهو احتجاجٌ خطابيٌّ.

وفي هذا التكرار والذكر المتعدد للطور، والميثاق، والسمع والطاعة والعصيان، دلائل على نبوته (ﷺ)، وما يرافقها من المعجزات العلمية بأنواعها الكثيرة، ومنها المجيء بألفاظ وعبارات نطق بها موسى (ﷺ)، وذكرتها التوراة، وإن كان ما وصل إلينا منها محرّفًا، وأنّ يهود المدينة في تلك المدة كانوا يعلمونها ويحفظونها تمامًا. (ابن عاشور، 1984م: 609/1)

المطلب الثاني: رفع القواعد من البيت، قوله تعالى: <sup>١</sup>لخ لم لي لي مج مخ مم مي نج نح نخ نم ني ني {البقرة، الآية: 127}. وسيكون الكلام عنها وفق الآتي:  
أولاً- تحليل الألفاظ:

-قوله: <sup>٢</sup>لي، ويقصد به ابراهيم (ﷺ)، وقد ورد اسمه في القرآن الكريم أكثر من 63 مرة (الحمصي، (د.ت): ص32).

وذكر الشوكاني أن معناها في العربية والسريانية الأب الرحيم. (الشوكاني، 1414هـ: 165/1)

-وقوله: <sup>٣</sup>لي، الأسس، أو الأساس الموالي للأرض الذي به ثبات البناء. والقواعد: جمع قاعدة، والمراد أسس المسجد الحرام أو الكعبة، بيت الله الحرام، والمعنى: رفعها بالبنيان الذي يكون فوق الأسس، وربما المقصود: الكشف عن الأسس بإزالة ما غطّاها من الحجارة والأتربة بسبب السيول وغيرها، أتم البناء فوق هذه الأسس، ورفع هذا البنيان عاليًا، دون رفع الأسس. والله أعلم.

(الأصفهاني، 1412هـ: ص679؛ والزمخشري، 1987م: 187/1؛ والشوكاني، 1414هـ: 175/1)

-وقوله: مَحَّ، الكعبة، بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وهو البيت العتيق. وقوله: مَحَّ، اسم علم أعجمي، وهو ابن النبي إبراهيم -عليهما السلام- من القبطية، وهو بكر إبراهيم، وقد ذكر أحد الباحثين أنه توفي بمكة سنة 1372هـ قبل الميلاد، ودفن بالحجر الذي حول الكعبة. (ابن فارس، 1979م: 324/1؛ وابن عاشور، 1984م: 719/1)

ثانيًا- المناسبة لما قبلها وما بعدها:

ذَكَرَ القرآن الكريم العرب بما أنعم عليهم من فضائل البيت الحرام، ثم ذَكَرَهُم بَأَن هذا البيت هو الذي بناه أبوهام إبراهيم مع ابنه اسماعيل الذي ينتسبون إليه، ويَدْعُونَ أَنَّهُم على ملته، وهو يحثهم جميعا كعرب للثبات على ملة إبراهيم التي أكَّدها الإسلام. (الزحيلي، 1418هـ: 312/1)

ثالثًا- أهم القضايا الأسلوبية والبلاغية للآية:

جاء التعبير بصيغة المضارع لَمْ لَمْ مع أن الكلام في الماضي لاستحضار الحالة وتقريب الصورة؛ لأن المضارع دال على الحال، وفيه هنا استعارة تبعية (الهاشمي، د.ت): (265/1)، إذ شَبَّه الماضي بالحال لشهرته وتكرار الحديث فيه.

وفي إسناد الرفع لإبراهيم مجاز عقلي (محيي الدين ديب، 2003م: ص233)؛ لأن إبراهيم سبب الرفع، وعُطِفَ إسماعيل على إبراهيم للتبويه بأن إسماعيل قد شارك أبيه وعاونه وكان مناولة لمواد البناء.

وللإشارة إلى التفاوت بين عمل إبراهيم وعمل إسماعيل جاء العطف على الفاعل بعد ذكر المفعول ومتعلقاته، وهذا من خصوصيات اللغة العربية في أسلوب العطف؛ وذلك أنك إذا أردت أن تدل على التفاوت بين الفاعلين في صدور الفعل تجعل عطف أحدهما على الآخر، بعد انتهاء ما يتعلق بالفاعل الأول.

وفي الآية تعريض بالمشركين، وفيها تمهيد للرد على اليهود إنكارهم استقبال المسلمين الكعبة في الصلاة بعد أن صلَّوا نحو بيت المقدس، أما المشركين فادَّعاهم متابعتهم لإبراهيم عليه السلام كذَّبَ محظ؛ لأنهم دنَّسوا البيت بالأوثان والأصنام، وإبراهيم يدعو إلى التوحيد الكامل.

وجاء التذييل بالجملة الاسمية المؤكدة مرّة أخرى بـ (إنَّكَ) للتأكيد. أما كلمة السميع التي جاءت على وزن فعيل بمعنى كثير الفعل، أي: كثير السمع، وبذلك أفادت المبالغة والتكثير، وأعطت معنى الدوام والاستمرار. وكذلك العليم. (ابن عاشور، 1984م: 718/1؛ ورشيد رضا،

1990م: 386/1)

رابعًا- توجيه القراءات القرآنية للآية:

وفي قراءة ابن مسعود: (ربنا تقبل منّا وأرنا مناسكنا) (أرنا) بكسر الراء (ابن جني، 1999م: 108/1)، وقال الداني: (أرنا) بتسكين الراء (الداني، 1984م: ص66)، وقرأ أبي وعبد الله بن مسعود: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل يقولان ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم. (الفراء، (د.ت): 78/1)

خامساً- أهم المسائل النحوية للآية:

وإذ: الواو: عاطفة. إذ: مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر إذ. يرفع: فعل مضارع مرفوع بالضمة. إبراهيم: فاعل مرفوع بالضمة. القواعد: مفعول به منصوب بالفتحة. وإسماعيل: الواو: عاطفة. اسماعيل: معطوف على إبراهيم. وقيل: اسماعيل مبتدأ، والخبر محذوف تقديره: واسماعيل يقول. ربنا: رب: منادى وهو مضاف، نا: مضاف إليه. تقبل: فعل أمر، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت يعود على ربنا. إنك: إن: من الحروف المشبه بالفعل يفيد التوكيد، والكاف اسمها في محل نصب. أنت: مبتدأ ثان. السميع: خبر أنت مرفوع، والعليم خبر ثان مرفوع. وجملة (أنت السميع العليم) خبر إن في (إنك) في محل رفع.

(العكبري، (د. ت): 115/1؛ والصافي، 1418هـ:

262/1-263)

سادساً-المعنى العام:

في الآية إشارة إلى حكاية لحالٍ ماضية، إذ أمر -جلّ وعلا- إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- بالكشف عن أساس الكعبة المشرفة، وإزالة ما غطّاها من الصخور والأترية، وغيرها. وبنائها بما تيسر من مواد البناء، ورفع هذا البناء عاليًا ليُرى من بعيد، ورفع وإتمام بناؤه على الوجه الذي يُرضيه -جلّ وعلا-. وأمرهما بالتعاون بتطهير هذا البيت، أي: البيت العتيق أو الكعبة، أو بيت الله -جلّ وعلا- من الأوثان والأصنام، وسائر النجاسات فضلاً على تطهيره من الشرك، والكفر والنفاق، وما في معناها من كل خبيث، وفي الحكاية ردُّ على المشركين الذين أحاطوا الكعبة بالأصنام والأوثان والأشياء، وربما الأشخاص مدّعين ربوبيتهم أو مشاركتهم لله تعالى في ربوبيته وألوهيته، ومع ذلك فإنهم يدعون أنهم يتبعون إبراهيم وإسماعيل في ديانة التوحيد التي جاء بها إبراهيم ﷺ خالصة.

لقد شرف الله تعالى هذا البيت بإضافته إلى نفسه بقوله تعالى: ﴿ خذ خم سجّ البقرة، من الآية: 125﴾، وكان هذا التطهير بداية الاستعداد لما أمره به بعد ذلك من الدعوة إلى الحج، التي تكفل بها -جلّ وعلا- من حيث البلاغ والأمن والإغراق على أهلها، ومن لبي أمر الله -جلّ وعلا- في حجّ بيته... من الثمرات. وكان الردّ منه جلّ وعلا سريعاً، وقد تحقّق منه جلّ وعلا

الرزق الوفير للمؤمنين، واليسير لغيرهم، ثم معاقبة الكفار بعد هذه الدنيا بما يستحقونه من العذاب في الآخرة. (رشيد رضا، 1990م: 383/1)

وفي هذه الآية تذكير للعرب في الجزيرة العربية، في مكة والمدينة، وسائر أنحاءها، بأن فخرهم بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وانتسابهم إليهما لا قيمة له عند الله تعالى، ولا يُعني منهم شيئاً، إلا أن يقتدوا به، ويسيروا على منهجه في التوحيد الخالص، أي: في عبادة الله وحده، والاستعانة به وحده مصداقاً لقوله تعالى: **هُم هِيَ يَجْ يَحْيَىٰ** {الفاتحة، الآية: 5}، وعليهم تطهير بيته وبيوته كافة من كل مظاهر الشرك والوثنية؛ لأن عبادة مَنْ هم من دون الله من الأشياء والأشخاص تُفسد عليهم دينهم، وتُخرجهم من دائرة التوحيد والإسلام إلى الشرك والوثنية. (ابن عاشور، 1984م: 717/1)

**المطلب الثالث:** رفع الرسل وتفضيل بعضهم على بعض، قوله تعالى: **لَمْ لِي لِي مَج مَج مَخْمَمِ مِي نَج نَحْنَخ نَم نِي نِي هَج هَم هِي هِي يَج يَح يَخ يَم يِي يِي ذُرُ يُ نُر نُر نَم نَم نِي نِي بَر بَر بَم بَم بِي بِي تَر تَر تَم تَم تِي تِي ثَر ثَر ثَم ثَم ثِي ثِي** {البقرة، الآية: 253}. وسيكون الكلام عنها وفق الآتي:

أولاً- تحليل الألفاظ:

-قوله: **لَمْ لِي**، وفي تلك إشارة إلى جميع الرسل. **وُلِيَّ**، الرسل: جمع رسول، وكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول إذ أن الرسول صاحب كتاب، كالتوراة والإنجيل والقرآن، وكذلك الزبور، والرسول هو الذي بعثه -جلّ وعلا-، وقد يراد بالرسول أو الرسول الملائكة، أو أحد الملائكة، ومنه قوله تعالى: **يُرِيزِيم يِي** {التكوير، الآية: 19}، وقوله تعالى: **لَخ لَمِ لَه** {هود، من الآية: 81}، وتعني كلمة الرسول بعض الأنبياء، **نُر نُر نَم** {آل عمران، من الآية: 144}، وقوله تعالى: **بَر بَر بَم بَم بِي بِي تَر تَر** {المائدة، من الآية: 67}، والرسول نبيّ أوحى الله إليه كتاباً ليكون دستوراً لأمته، وكلفه بالدعوة إلى عبادة الله، ونبذ عبادة الشرك... (الأصفهاني، 1412هـ: ص352-353)

وقال الشوكاني: إن الألف واللام في **لِي** تفيد الاستغراق، وتؤكد المعنى الذي فضلنا بعضهم على بعض أشارت إليه كلمة **لَمْ** (الشوكاني، 1414هـ: ص308)، وقال محمد رشيد رضا: الأنبياء كلهم من اصطفائه -جلّ وعلا- وكلهم رسله وهم يستحقون الاتباع والافتداء والإيمان بهم، وإن امتاز بعضهم على بعض بما شاءه -جلّ وعلا- من أمرهم. (رشيد رضا، 1990م:

4/3)

-قوله: مي مي نج نح: بمعنى حدّث أو كلّم الله بعض الأنبياء، أو أن بعض الأنبياء قد كلّم الله بأمره جلّ وعلا وتقديره (الشوكاني، 1414هـ: ص309). وجاء إيهام في هذه الآية منعاً للقول بلا دليل.

-وقوله: نيّ جمع درجة وهي المنزلة الرفيعة السامية. (الأصفهاني، 1412هـ: ص310)  
-وقوله: يخّ: الآيات والمعجزات، ومنها إحياء الموتى وإبراء المرضى... وقوله: يخّ: قويناه من التأييد بمعنى التقوية. (الشوكاني، 1414هـ: 309/1)  
-وقوله: يم يى، جبريل عليه السلام الذي تنزل بما يطهر نفوسنا من القرآن والحكمة، وروح القدس: من إضافة الموصوف إلى الصفة. (الأصفهاني، 1412هـ: ص660؛ وابن عاشور، 1984م: 8/3)

-وقوله: بز بم، من الإيمان، وأصله: طمأنينة النفس وزوال الخوف، ومن معانيه: التصديق الذي يحقق إذعان النفس للحق باجتماع ثلاثة أمور: تحقيق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح. (الأصفهاني، 1412هـ: ص90-91)  
ثانياً- المناسبة لما قبلها وما بعدها:

ذكرت سورة البقرة عددًا من الرسل، جاءت هذه الآية خاتمة لما ذكر عن الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، فعدّدت النبي ﷺ منهم، وهو خاتمهم.

عرّفت هذه الآية القارئ ببعض أحوالهم في الفضل خاصة والمنزلة، فذكرت علو مقدارهم ومنزلتهم ورتبهم وأكدت أنهم بالمحل الذي لا يُنال والمقام الذي لا يُرام.

أكدت نسخ شريعة موسى بالمسيح، ونسخ الجميع بشريعة محمد (ﷺ)، كما أشارت الآية إلى أنّ المسيح هو ابن مريم، لنقول: إن ابن الإنسان لا يمكن أن يكون إلهاً، لأنه مخلوق، وأشارت إلى الإعجاز في خلقه من غير أب.

لما ذكر -جلّ وعلا- في الآيات السابقة اصطفاً طالوت على بني إسرائيل، وتفضيل داود عليه السلام بالملك والنبوة، ثم خاطب النبي محمداً (ﷺ) بأنه منهم، وكان ظاهر اللفظ يقتضي التسوية بين الرسل، جاءت هذه الآية مؤكدة أنّ الرسل ليسوا في درجة واحدة، بل بعضهم أفضل من بعض، وذلك

الشأن كما هو بين البشر، وتلك إرادة الله -جلّ وعلا.

(البقاعي، (د. ت): 1/4-6؛ ورشيد رضا، 1990م: 4/3)

ثالثاً- أسباب النزول:

أورده الشوكاني نقلاً عن السيوطي، مروية قال عنها السيوطي: (وسنده واه)؛ ولذلك رأيت عدم الإشارة إليه ولم أذكره. (الشوكاني، 1414هـ: 310/1)

رابعاً- أهم القضايا الأسلوبية والبلاغية للآية:

جاء اقتران اسم الإشارة في (تلك) بكاف البعد تنويهاً بمراتبهم، وإشارة إلى تقدمهم زمنياً، وبعد مرتبتهم في الكمال.

وفي قوله: **مى مى نج نح** بعد أن قال: **لم لى لي مج مح مخم مى مى نج نح** التفات إذ انتقل الكلام من ضمير الغائب إلى الظاهر **نج نح** وفيه إفادة معنى التخييم والتكريم لموسى **عليه السلام**، إذ خصّه بالتكليم دون غيره مع ما نعلمه من أن الوحي هو كلام الله -جلّ وعلا- لكل الأنبياء والرسل، ولكن موسى **عليه السلام** خصّ بالتكليم من وراء حجاب.

وتفيد الآية التقسيم في المباحث البلاغية، وفيه تفصيل لذلك التفضيل. ويوجد طباق بين قوله: **أمّن وكفّر**.

**نم نى ني**، قال الزمخشري: فيه إبهام يفيد التخييم وإعلاء قدر الأنبياء.

وفي تكرار **ذ ر ئى** معنى التوكيد. وفيها إطناب (الجزري، (د. ت): ص109)، إذ تكررت لتأكيد المقصود.

وفي **مى مى** تقديم الخبر على المبتدأ، وفيه إفادة معنى التبويض.

وجاءت **ثم... ئى** بصيغة المضارع للدلالة على الدوام والاستمرار والتجدد.

(الزجاج، 1988م: 333/1؛ والزمخشري، 1987م: 297/1؛ ورشيد رضا، 1990م:

4/3-5)

خامساً- توجيه القراءات القرآنية للآية:

وقرأت **مى نج نح** بالنصب بمعنى: **أن النبي كلم الله، وقرأ اليماني: كالم من المكاملة. ووقف واجب على كلمة (بعض) في قوله: لم لى لي مج مح مخم**. وقرأ الحجازيون: **القدس، والقدس: عند بني تميم، وقيل: القدس والقدوس من أسماء الله تعالى. (ابن عاشور، 1984م: 8/3)**

سادساً- أهم المسائل النحوية للآية:

تلك: اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف للخطاب. الرسل: بدل من تلك. وقال الزجاج: صفة. وقال الطاهر بن عاشور: الرسل: خبر؛ لأن الإخبار عن الجماعة بأنها الرسل أوقع في استحضار الجماعة العجيب شأنهم الباهر خبرهم. وقيل: تلك الرسل: مبتدأ وخبر. **فصلنا: فعل ماض وفاعل. والجملة الفعلية في محل نصب حال، أو رفع خبر للمبتدأ. بَعْضُهُمْ: بعض: مفعول به وهو مضاف، والهاء: مجرور بالإضافة، والميم للجماعة. على بَعْضٍ: جار ومجرور متعلقان بفضلنا. مِنْهُمُ: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. مَنْ: اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر. كَلَّمَ اللهُ: فعل ماض ولفظ الجلالة فاعل. والجملة في محل نصب حال. وقيل: صلة الموصول لا محل لها من الإعراب. ورفَع: الواو عاطفة. رفع:**

فعل ماضٍ. والفاعل هو. درجاتٍ: حال منصوبة بالفتحة بدل الكسرة لأنها جمع مؤنث سالم. وقيل: درجاتٍ: مجرورة على تقدير على درجاتٍ، أو في درجاتٍ، أو إلى درجاتٍ. وَأَتَيْنَا: مثل إعراب فضلنا. عَيْسَى: مفعول به. ابْنٌ: بدل من عيسى، أو صفة له. وهو مضاف. مَرْيَمَ: مضاف إليه مجرور بالفتحة بدل الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف. أَلْبَيْتَاتِ: مفعول به ثانٍ منصوب مثل درجات. وَأَيَّدْنَا: مثل آتينا. وَلَوْ: الواو: عاطفة، لو حرف شرط غير جازم. شاء الله: فعل وفاعل، ومفعول شاء محذوف تقديره: لو شاء الله عدم اختلافهم. مَا أَقْتَنَلِ الَّذِينَ: ما: نافية. اقتتل الذين: فعل وفاعل. مِنْ بَعْدِهِمْ: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول. مِنْ بَعْدِ: جار ومجرور وتفيد إعادة حرف الجر (من) كون الثانية بدلاً من الأولى. ما: اسم موصول أو مصدرية. جَاءَتْهُمْ: جاء: فعل ماضٍ، التاء: تاء التانيث الساكنة، الهاء: في محل نصب مفعول به مقدم، الميم للجماعة. أَلْبَيْتَاتُ: فاعل. وجملة (ما جاءتهم البيئات) في محل جر بالإضافة. ولكن: الواو عاطفة، لكن: حرف استدراك، واسمها محذوف تقديره هم. اختلفوا فعل وفاعل. والجملة في محل رفع خبر لكن. فَمِنْهُمْ: الفاء: للتعليل، وقيل: للتفريع. منهم: جار ومجرور في محل رفع خبر مقدم. مَنْ: اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ مؤخر. آمن: فعل ماضٍ وفاعله هو والجملة في محل نصب حال. وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ: من إعراب (فمنهم من آمن). وَلَوْ شاءَ اللهُ: تقدم إعرابها. مَا أَقْتَنَلُوا: ما: نافية. اقتتلوا: فعل وفاعل. ولكن الله: ولكن: تقدم إعرابها. الله: اسمها منصوب. يفعل: فعل وفاعل. والجملة الفعلية في محل رفع خبر لكن. ما: اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به. يريدُ: فعل مضارع، وفاعله هو. وجملة (يريد) صلة الموصول أو حال.

(الزجاج، 1988م: 333/1؛ والعكبري، (د. ت): 201/1؛ ومصطفى درويش، 1415هـ:

(378/1

سابعاً-المعنى العام:

الخطاب موجه إلى النبي محمد (ﷺ) ثم لأُمَّته من بعده، فَمَنْ آمَنَ بِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ (ﷺ) نَبِيًّا وَآمَنَ بِالْقُرْآنِ دَسْتُورًا، لهؤلاء جميعاً وللأمة يقول تعالى: إِنَّ الرِّسَالَ الَّذِينَ وَرَدَتْ أَسْمَاءَهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَوْ اسْتَأْثَرَ اللهُ -جَلَّ وَعَلَا- بِهَا عِنْدَهُ، قَدْ فَضَّلَ اللهُ -جَلَّ وَعَلَا- بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَذَكَرْتَ الْآيَةَ مُوسَى الْكَافِي، وَعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ الْكَافِي، وَذَكَرْتَ ضَمْنَا وَفِي الْخُطَابِ مُحَمَّدًا (ﷺ)، وَذَكَرْتَ أَنْ مِنْ مَعْجَزَاتِ مُوسَى الْكَافِي، التَّكْلِيمِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ تَكْلِيمِ مُوسَى اللهُ تَعَالَى وَتَكْلِيمِ اللهُ تَعَالَى لِمُوسَى الْكَافِي، أَمَّا كَيْفَ تَمَّ ذَلِكَ التَّكْلِيمِ فَالْخَوْضُ فِيهِ بِلَا دَلِيلٍ، لَا طَائِلَ وَرَاءَهُ وَيَكْفِي الْقَوْلُ إِنَّ اللهُ كَلَّمَهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ... وَذَكَرْتَ الْآيَةَ مَا أُعْطِيَ -جَلَّ وَعَلَا- الْمَسِيحَ الْكَافِي مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالتَّأْيِيدِ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْكَافِي مِنْهَا، كَأَحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَإِبْرَاءِ

المرضى، والتبشير بالنبي الخاتم، وغيرها. بدءًا بالحمل والمخاض والولادة والتكلم والتوفي والرفع... وختامًا بقوله تعالى: "يٰٓيٰٓجُدُّ نُجُودُ ثُمَّ يُجِئُ بِجَنَدٍ بَدِيعٍ يَمُوتُ بَدِينِهِمْ ثُمَّ يَأْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ فَسَيَكُونُ فِيهَا حَمِيمٌ مُّؤْتَمِرِينَ" (الأنبياء: 59). وأكدت الآية أن ما حصل من اقتتال بين أتباع الرسل في الزمن الذي جاء بعد ذهاب الرسل، إنما كان بسبب اختلاف أتباع الرسل في فهم النصوص، والقدرة على استيعابها ومعرفة المراد منها، ونظرًا لجهلهم بعواقب الاختلاف تعصبوا لأقوالهم وفهمهم لتلك النصوص ورفضوا غيرهم، وقادتهم تلك العصبية وذلك الاختلاف إلى الحكم بعضهم على البعض بالمخالفة، وقلّة العلم، واحتقار العلماء، وتكفير بعضهم لبعض ثم مقاتلة بعضهم للآخر، ومن هذا انقسم الناس إلى مؤمن وكافر، فكان القتال بينهم بعد ذلك عقوبة لهم في الدنيا، ولو أراد الله -جلّ وعلا- إيمانهم جميعًا لَفعل، ولكنه أمر الله، ولا شأن للناس كل الناس في أمره تعالى وحكمته وحكمه؛ لأنه -جلّ وعلا- يفعل ما يريد لا ما يريده أهل الأهواء والبدع والباطل، وإمهال الله تعالى للطغاة منهج ليس فيه إهمال؛ لأن الله يمهل ولا يهمل. (الشوكاني، 1414هـ: 213/1-308)

ثامنًا-الأحكام المستنبطة والمستفادة من الآية: لقد دلّت هذه الآية على: حثت الآية المؤمنين على الانسجام وتحقيق الاتفاق ونبذ الاختلافات، والتعاون لنصرة الحق على الباطل، وبت الهدى، وإزهاق الباطل، لتكون بعد ذلك حجة للمؤمنين في التصدي لأهل الباطل وما هم عليه من منهج الجاهلية الذين استمروا الظلم والكفر والشرك، وخالفوا الرسل والأنبياء، وما أتوهم به من الهدى. (ابن عاشور، 1984م: 8/3؛ والزحيلي، 1418هـ: 9/3-10) إن ما حدث من اختلاف وفرقة بين أمم الأنبياء والرسل ومن جاء بعدهم إنما كان سببه الجهل، وسوء الفهم، وقلّة الهدى وضعف الإيمان، فضلًا على المكابرة والعناد والحسد والبغي والهوى، تبعًا لما جُبّلوا عليه من التفاوت في الذكاء، والمعرفة، وأصالة الرأي، ومن هنا أصبح الاختلاف مظنة الخروج عن الحق، وفيه يكون القتال والخصام، وما يتبعهما من ضعف وتفرق، وهذا الاختلاف سيكرر ما دام في الناس من يستمع إلى مناهج المتطرفين ويعمل عملهم، ولا تطرف أو إفراط ولا تفريط إلا وأصله دوائر اليهود والنصارى الذين عُرفوا بالحسد، وعملوا ضد الأنبياء والرسل، وهم يعرفون حق المعرفة أنهم رسل الله تعالى، فأعماهم الشيطان وصدّهم البغي عن الحق، فاستحقوا غضب الله -جلّ وعلا-.

ويستفاد من الآية تحذير الأمة الإسلامية من التقليد في كل شيء، حتى في المناهج التربوية؛ لأن اليهود والنصارى قد أعلنوا تعاونهم ضد الإسلام والمسلمين، ولذلك فلا نصح يَرتجى منهم ولا خيرٌ فيهم، وتجنبهم أولى.

**المطلب الرابع:** رفع المساجد، قوله تعالى: **م م ن د ن ذ ن م ن ه ه ج ه م ه ي ج ي د ي ذ ي م ي ه م ل خ ل م ل ي ل ي م ج م ح م خ م م م ي م ي ن ج ن ح ن خ ن م ن ي ن ي ه ج ه م ه ي ه ي النور، الآيتان: 36-37**. وسيكون الكلام عنها وفق الآتي:

أولاً- تحليل الألفاظ:

-قوله: **ن ج**، جمع بيت، وهذه البيوت أمر الله -جلّ وعلا- أن تُبنى وتُشاد على اسمه خاصة، وأمر بتعظيمها ورفع شأنها لتكون منارات للهدى ومراكز للإشعاع الروحي. والمساجد هي بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض. وقيل: إن هذه البيوت تشمل بيوت الله كافة، وقيل: هي المساجد الأربعة: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، ومسجد قباء، والمسجد الأقصى، وأضاف آخرون إليها بيوت بيت المقدس، والصوامع والبيع والأديرة، والراجح القول الأول.

-قوله: **ن د ن ذ ن م ن ه**، أي: أمر الله وقضى بأن تُبنى ويعظم شأنها وتطهر من الآفات والأدناس والنجاسات والأقذار، ومنها الأصنام والأوثان.

-قوله: **ه ج ه م ه** يُعبد فيها -جلّ وعلا- بتوحيده وتلاوة آياته وقرآنه، وقال آخرون: يوحد الله بالذكر والدعاء، أو بالصورة التي يرضاها -جلّ وعلا.

-قوله تعالى: **ي ج** بمعنى يصلي الصلاة المفروضة في هذه المساجد التي أمر الله برفعها وذكر اسمه فيها ومن الذكر الصلوات الخمسة المشار إليها في الوقتين (الغدو والآصال). وقال آخرون: التسبيح: التنزيه لله تعالى عما لا يليق به من صفاته وأفعاله يُفهم ذلك من قوله تعالى بعدها من الصلاة والزكاة، وكل تسبيح صلاة.

-قوله: **ي م**: الوقت المبكر من أول النهار، والغدوة: أول النهار وهو الضحى آخره. وقوله: **ي ه**: جمع أصيل، وهو الوقت بين العصر والمغرب، وهو العشيّ والعشية.

-قوله: **ل خ**: وجاءت بصيغة النكرة، للتفخيم، إذ المقصود الرجال الذين يملكون رجولة لا تمنعهم من اتخاذ القرار الصائب، واستثنى اللفظ أولئك الذين أغواهم الشيطان وصدّهم عن السبيل. وقوله: **ل خ ل م ل ي ل ي م ج م ح م خ م م م ي م ي ن ج ن ح ن خ ن م ن ي ن ي ه ج ه م ه ي ه ي** عن عبادة الله تعالى والتجارة: بيع وشراء، وهو شغل مباح في كل الوقت، إلا وقت الصلاة أو النداء إليها فإذا أدى صلاته، فله أن ينصرف إلى عمله ومنها التجارة. وأداء العبادات الأخرى تحتاج إلى مثابرة وصبر ودوام، وانتظام، وهذا لا يطيقه المهازيل الضعفاء والمهزومون إنما هو سمّت الرجال الرجال الأشداء الذين عمّر الإيمان قلوبهم. وقوله: **ن م ن ي ن ي ه ج ه م ه ي**، هو يوم الحساب، يوم القيامة، اليوم الرهيب الذي تضطرب من شدة هولته وفزع قلوب الناس وأبصارهم.



فاعل وهو مضاف، والهاء: مضاف إليه. يُسَبِّحُ: فعل مضارع. والأصل: الواو: عاطفة، الأصل: معطوف على العُدْو. رجالٌ: فاعل يُسَبِّحُ، وقيل خبر لمبتدأ تقديره هم رجال. لا: نافية. تلهيهم: فعل مضارع، هم: مفعول به. تجارةٌ: فاعل مرفوع. ولا: الواو عاطفة. بيعٌ: بيع معطوف على تجارة مرفوع. عن ذكر: جار ومجرور، وهو مضاف. الله: لفظ الجلالة، مضاف إليه مجرور. وإقام: الواو: عاطفة، إقام معطوف على ذكر وهو مضاف. الصلوات: مضاف إليه مجرور. وإيتاء: الواو: عاطفة، إيتاء معطوف على إقام وهو مضاف. الزكاة: مضاف إليه مجرور. يخافون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو فاعل. يوماً: مفعول فيه منصوب على الظرفية الزمانية. تتقلب: فعل مضارع مرفوع بالضم. القلوب: فاعل مرفوع. والأبصار: الواو: عاطفة، الأبصار معطوف على القلوب مرفوع. وجملة (تتقلب فيه القلوب والأبصار) صفة يوماً، أي صفة يوم القيامة. (الصافي، 1418هـ: 266/18)

#### سادسا - المعنى العام للآية:

مثل -جلّ وعلا- النور الذي وصف به نفسه بالمشكاة التي توضع في المسجد، والمصباح والزجاجة والكوكب، مما عُرف وضعه في المساجد والمعابد التي عدّها القرآن بيوت الله، وقد أضاف إليها المفسرون بيوت بيت المقدس، وبيوت النبي (ﷺ)، واختار آخرون المساجد الأربعة، التي تقدمت الإشارة إليها. وقد حث القرآن الكريم على رفع هذه البيوت وتكريمها ونهى عن اللغو فيها، ووصفها أو خصّها بالعبادة الخالصة لله تعالى وحده، فلا ندّ ولا شريك، لا من الأشياء، ولا من الأشخاص، ومن الذكر الذي ذكره القرآن: الصلاة، والزكاة، وقراءة القرآن، ومدارسته وتعليمه... ووصف -جلّ وعلا- من يقوم بهذا الذكر، وهذه العبادات بأنهم رجال، وأكد رجولتهم بهذه اللفظة المنكرة، وإن كانت موصوفةً بإحدى أهم معالم الرجولة، وهي الصبر على الطاعات، ولقد كان هذا الوصف لائقاً بأولئك الصحابة الذين لم تلههم المكاسب والأرباح والمغانم في العمل والتجارة منها خاصة عن إداء الصلوات المفروضة، أو أداء ما يجب عليهم من الزكاة الواجبة وإعطائها إلى مستحقيها، والعمل عليها بجد ونشاط، وهمة الرجال الذين يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار مما يشاهدونه من أحوال يوم القيامة. (الشوكاني، 1414هـ: 40/4-43)

لقد حرص الصحابة ﷺ على أداء الصلاة في وقتها، ووضعوا ما جاء به القرآن الكريم من الأوامر والنواهي موضع التطبيق العملي، وذلك الذي ذكرته سورة النور، لتحول المجتمع الإسلامي المنسجم في تركيبته هذه في المكان اللائق به، وليكون بعد ذلك الصحابة الكرام كالنجوم، " فَبِأَيِّهُمْ أَقْتَدَيْتُمْ أَهْتَدَيْتُمْ ". (الأجري، 1999م: 4/1690)

سابعا - الأحكام المستنبطة والمستفادة من الآية: لقد دلّت هذه الآية على:



1. إن الله تعالى قد أكرم هؤلاء الرجال من الصحابة الكرام الذين وضعوا الإسلام موضع التطبيق العملي؛ ولذلك لا يجوز الانتقاص منهم، أو ذمهم، ويحرم سبهم وشتيمهم.
  2. حرمة هدم المساجد التي أمر -جلّ وعلا- ببنائها وعبادته فيها، إلا إذا أُريدَ تجديدها أو إصلاحها.
  3. جواز تزيين المساجد وإنارتها بالثريات والقناديل والأضواء الأخرى والمصابيح.
- المطلب الخامس: رفع سُمْكِ السَّمَاءِ، قوله تعالى: "ثِي فِي فِي قِي" {النازعات، الآية: 28}.**  
وسيكون الكلام عنها وفق الآتي:

#### أولاً- تحليل الألفاظ:

- قوله: "فِي" : سَمَكٌ: رفع، والسّمك السقف، وكل شيء حَمَلٌ شيئاً من البناء وغيره فهو سَمَكٌ، ومنه قول الفرزدق:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعْرُ وَأَطْوَلُ. (ابن رشيقي، 1401هـ: 144/2)  
والسَمَكُ: الغلظة والارتفاع وهو الجرم والصورة، وهو الرفع في الفضاء. ورفع سَمَكُها، أي: بناها أو جعلها كالبناء المرتفع فوق الأرض. وقوله: "فِي" عدلها وجعلها مستوية لمساء ليس فيها تفاوت ولا فطور، وتممها بما يعلم أنها تتم به، وأصلها، ومنه قولك: (سوى فلان أمر فلان).  
(الزمخشري، 1987م: 696/4؛ وابن عاشور، 1984م:

83/30)

#### ثانياً- المناسبة لما قبلها وما بعدها:

خُتِمَتِ سُورَةُ النَّبَأِ الْمَكِّيَّةُ بِالْحَدِيثِ عَنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حَيْثُ تَمَنَّى الْكَافِرُ أَنْ يُحْشَرَ وَلَا يُحَاسِبَ، أَوْ أَنْ يَكُونَ تَرَابًا كَسَائِرِ الْبَهَائِمِ... وجاءت سورة النازعات بعدها وهي مكية أيضا بالحديث عن يوم القيامة والساعة وأهوالها ومآل المتقين ومآل المجرمين، وفي كلا السورتين فزع وخوف، زاده القسم بالملائكة وما لها من دور في علاقتها بالإنسان خاصة والخلائق عامة. (ابن الزبير، 1990م: ص355-356)

#### ثالثاً- أهم القضايا الأسلوبية والبلاغية للآية:

1. الاستفهام المتقدم في قوله: "تَن تَي تِي تَر تَرْتَم تَن تِي" {النازعات، الآية: 27}! يفيد التوبيخ والتقريع.
2. والمقابلة بين قوله: "تَن تَي تِي تَر تَرْتَم تَن تِي تِي فِي فِي قِي" {النازعات، الآيتان: 27-28}، وبين قوله: "كِي لِي لِي مِم نَر نَز نَم نَن" {النازعات، الآيتان: 30-31}.
3. توافق الفواصل في سجع لطيف، وهو من المحسنات البديعية: (ضحاها، دحاها، مرعاها، أرساها، بناها، فسواها...).

(الشوكاني، 1414هـ: 457/5؛ والصابوني، 1997م: 490/3-492)

#### رابعاً- أهم المسائل النحوية للآية:

رفع: فعل ماضٍ مبني على الفتح، والفاعل هو يعود على (الله). وجملة رفع استئنافية، استئناف بياني. سَمَكَهَا: سَمَكٌ، مفعول به منصوب وهو مضاف، والها: مضاف إليه. فسواها: الفاء عاطفة، سواها: فعل ماضٍ والفاعل هو، الها: مفعول به. وجملة (فسواها) معطوفة على رفع وهو عطف جملة على جملة. وجملة (رفع سمكها فسواها) بدل من جملة (بناها) بدل جملة من جملة. (الصافي، 1418هـ: 266/18، 369/10)

#### خامساً- المعنى العام للآية:

نَبَّه -جَلَّ وعلا- المشركين على أمرٍ يُعَلَّمُ بالمشاهدة، فسألهم بمثل هذا السؤال؛ لأن خلق الإنسان على صغره وضعفه إذا قورن بخلق السماء على عظيمها وعظم أحوالها يسير، وإذا كان ذلك كذلك، فإن إعادة خلق الإنسان سهلة، فكيف يُنكرون ذلك؟! وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: تَدْتَخْتُمُ تَهْتَئِمُ جَدِجًا {غافر، من الآية: 57}، وإذ تقدم الحديث عن بناء السماء ورفعها عالية محكمة البناء بلا عمدٍ ولا أوتادٍ، مرئية أو غير مرئية، فقد جاء في هذه الآية ما يتعلق بالسقف، فقد رفع -جَلَّ وعلا- سمكها، وأعلى سقفها وجعلها مستوية لا تفاوت فيها ولا شقوق، ولا فطور، وجعلها عالية البناء بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء، مكلّلة بالكواكب في الليلة الظلماء. (الرازي، 1420هـ: 43-48؛ والصابوني، 1997م: 515/3)

#### سادساً- الأحكام المستنبطة والمستفادة من الآية: لقد دلّت هذه الآية على:

1. لقد أثبت -جَلَّ وعلا- لمن أنكر قدرة الله على البعث وإعادة الخلق والمعاد أنّ الله قد بدأ الخلق وخلق السماء وجعلها محكمة البناء، وذكر بعد ذلك خلق الليل والنهار، وبسط الأرض وتمهيدها، وإرساء الماء منها، وإرساء الجبال في أماكنها، وغير ذلك مما ينفع الإنسان ودوابه.
2. وأفاد في هذا الاستعراض توبيخ المنكرين وتقديمهم؛ لأنهم يعرفون أنّ الله هو الذي خلق الكون، ومن خلقه ابتداءً يستطيع إعادة خلقه. (الزحيلي، 1418هـ: 46/30)

#### الخاتمة وأهم النتائج

في ختام هذا البحث أو تثبيت النتائج التي توصلت إليها، وهي على النحو الآتي:

- إنّ الطور رُفِعَ حقيقةً فوق قوم موسى ﷺ تهديداً لهم وتوبيخاً.
- وفي قصة بناء البيت الحرام ورفع أسسه تنبيهاً لأهل مكة ممن كان يدّعي الانتساب إلى إبراهيم ﷺ أنه كان حنيفاً مسلماً، وهو الإسلام نفسه الذي جاء به محمد (ﷺ)، وقد اجتمعوا على نبذ الشرك، وترك عبادة الأوثان والأصنام، ودعوا بقوة إلى التوحيد الخالص، فلماذا يصدون الناس عن الإسلام؟!!

- ليس للناس الخوض في مسألة المفاضلة بين الرسل، وعندما يُصدر -جلّ وعلا- بيانًا بذلك، فهو من اختصاصه -جلّ وعلا-.
- رفع المساجد لا يعني بناؤها حسب، إنما يعني تفعيلها وجعلها عامرة بأمة تعرف قدر المسجد ومكانته، عبادة وإدارةً ومنطلقًا ومثابةً.
- رفع السماء بلا عمد، كرفع سمكه معجزة المعجزات، وذلك ما نبّه إليه القرآن الكريم العربيّ وهو يعيش في صحراء مترامية الأطراف في هذا الكون الفسيح، فلا عمُد مرئية وربما لا توجد أخرى غير مرئية لا رافعة ولا معلقة، إنما هي قوة الله -جلّ وعلا- التي لا حدود لها ولا كيفية، والتي تحدد المكان والزمان والقوة، فأين خيمة العربي وما فيها من أعمدة وحبال وأوتاد من هذا البناء الربّاني العظيم!؟
- وفي هذا توبيخ، وتقريع لمن يعتقد أنّ في قدرة المخلوقين مشاركة الخالق أو منافسته في إدارة هذا الكون، فكيف يليق بالعقلاء عبادة هذه الأوثان وتلك الأصنام أو تلك الأشياء وأولئك الأشخاص.

## المصادر

### القرآن الكريم

1. ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد ، التونسي (ت: 1393هـ)، 1984م، التحرير والتوير: الدار التونسية- تونس، (د.ط)
2. أبو البقاء ، عبد الله بن الحسين العكبري (ت 616هـ)، التبيان في إعراب القرآن: تحقيق: علي محمد البجاوي وعيسى البابي الحلبي وشركاؤه، (د. ط،
3. أبو حيان ، محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، 1420هـ.البحر المحيط في التفسير: تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت.
4. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب ، (ت 502هـ)، المفردات في غريب القرآن: تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.
5. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط أبو بكر (ت 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ط).
6. الجوهري ،أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت 393هـ) ، 1407هـ- 1987م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط4.
7. الداني ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو (ت 444هـ) ، 1404هـ- 1984م ، التيسير في القراءات السبع: تحقيق: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي- بيروت، ط2.
8. درويش ، محيي الدين بن أحمد مصطفى ، (ت: 1403هـ)، 1415هـ، إعراب القرآن وبيانه: دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص- سورية، ط4.
9. الرازي ،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين ، (ت: 606هـ) ، 1420، مفاتيح الغيب دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط3هـ.
10. الزجاج ،إبراهيم بن السري بن سهل ، (ت 311هـ)، 1408هـ/ 1988م ،معاني القرآن وإعرابه: تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب- بيروت، ط1.
11. الزحيلي، وهبة بن مصطفى1418هـ ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: دار الفكر المعاصر- دمشق، ط2،.

12. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو، جارالله (ت 538) ، 1407هـ - 1987م،  
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: دار الكتاب العربي، بيروت، ط3.
13. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ)، معترك الأقران في إعجاز  
القرآن: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1408هـ - 1988م.
14. الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله ، (ت 1250هـ) ، 1414هـ، فتح القدير:  
دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، ط1.
15. الصافي ،محمود بن عبد الرحيم (ت 1376هـ) ، 1418هـ ، الجدول في إعراب القرآن  
الكريم: دار الرشيد، دمشق- مؤسسة الإيمان، بيروت، ط4.
16. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله (ت: 207هـ)، معاني القرآن: تحقيق: أحمد  
يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية- مصر، ط1، (د.ت).
17. القزويني، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء ، (ت: 395هـ) ، 1399هـ - 1979م ،  
معجم مقاييس اللغة: تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.
18. مطلوب، أحمد، 1395هـ/1975م ، فنون بلاغية: دار البحوث العلمية، الكويت، ط1.
19. الموصلي، أبو الفتح عثمان بن جني ، (ت392هـ) ، 1420هـ - 1999م ، المحتسب في  
تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشئون  
الإسلامية.
20. الهمداني ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن ، (ت 769هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية  
ابن مالك: تحقيق: محمد محيي الدين، دار التراث- القاهرة، دار مصر، سعيد جودة  
السحار وشركائه، ط20، 1400هـ/1980م.



## Referenes

- 1 .Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir ibn Muhammad, al-Tunisi (d. 1393 AH), 1984 CE, Al-Tahrir wa al-Tanwir: Tunisian House, Tunis, (n.d.)
- 2 .Abu al-Baqa, Abdullah ibn al-Husayn al-Akbari (d. 616 AH), Al-Tibyan fi I'rab al-Qur'an: edited by Ali Muhammad al-Bajawi, Isa al-Babi al-Halabi, and their partners, (n.d.)
- 3 .Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf ibn Hayyan Athir al-Din al-Andalusi (d. 745 AH), 1420 AH. Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir: edited by Sidqi Muhammad Jamil, Dar al-Fikr, Beirut.
- 4 .Al-Isfahani, Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad al-Raghib (d. 502 AH), Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an: edited by Safwan Adnan al-Dawudi, Dar al-Qalam, Dar al-Shamiyya, Damascus, Beirut, 1st edition, 1412 AH.
- 5 .Al-Biq'a'i, Ibrahim ibn Umar ibn Hasan al-Ribat Abu Bakr (d. 885 AH), Nazm Pearls in the Harmony of Verses and Chapters: Dar al-Kitab al-Islami, Cairo, (n.d.).
- 6 .Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail ibn Hammad (d. 393 AH), 1407 AH - 1987 CE, Al-Sihah Taj al-Lughah wa Sihah al-Arabiyyah: edited by Ahmad Abd al-Ghafur Attar, Dar al-Ilm lil-Malayin - Beirut, 4th edition.
- 7 .Al-Dani, Uthman ibn Saeed ibn Uthman ibn Umar Abu Amr (d. 444 AH), 1404 AH - 1984 CE, Al-Taysir fi al-Qira'at al-Sab': edited by Otto Trizel, Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, 2nd edition.
- 8 .Darwish, Muhyi al-Din ibn Ahmad Mustafa, (d. 1403 AH), 1415 AH, I'rab al-Qur'an wa Bayanuhu: Dar al-Irshad lil-Shu'un al-Jami'iyyah, Homs - Syria, 4th edition.
- 9 .Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad ibn Umar ibn al-Hasan, nicknamed Fakhr al-Din, (d. 606 AH) 1420, Keys to the Unseen, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, Beirut, 3rd edition.
- 10 .Al-Zajjaj, Ibrahim ibn al-Sari ibn Sahl (d. 311 AH), 1408 AH/1988 CE, The Meanings of the Qur'an and its Grammatical Analysis: edited by Abd al-Jalil Abduh Shalabi, Alam al-Kutub, Beirut, 1st edition.



- 11 .Al-Zuhayli, Wahba ibn Mustafa, 1418 AH, The Illuminating Commentary on Creed, Shari'a, and Methodology: Dar al-Fikr al-Mu'asir, Damascus, 2nd edition.
- 12 .Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmud ibn Amr, Jarallah (d. 538 AH), 1407 AH/1987 CE, The Revealer of the Truths of the Obscure Meanings of Revelation: Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 3rd edition.
- 13 .Al-Suyuti, Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, Jalal al-Din (d. 911 AH), The Arena of Peers in the Miraculous Nature of the Qur'an: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1408 AH. 1988 CE.
- 14 .Al-Shawkani, Muhammad ibn Ali ibn Muhammad ibn Abdullah (d. 1250 AH), 1414 AH, Fath al-Qadir: Dar Ibn Kathir, Dar al-Kalim al-Tayyib - Damascus, Beirut, 1st ed.
- 15 .Al-Safi, Mahmud ibn Abd al-Rahim (d. 1376 AH), 1418 AH, Al-Jadwal fi I'rab al-Qur'an al-Karim: Dar al-Rashid, Damascus - Mu'assasat al-Iman, Beirut, 4th ed.
- 16 .Al-Farra', Abu Zakariya Yahya ibn Ziyad ibn Abdullah (d. 207 AH), Ma'ani al-Qur'an: edited by Ahmad Yusuf al-Najati et al., Dar al-Misriyyah - Egypt, 1st ed., (n.d.).
- 17 .Al-Qazwini, Abu al-Husayn Ahmad ibn Faris ibn Zakariya (d. 395 AH), 1399 AH - 1979 CE, Mu'jam Maqayis al-Lughah: edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr.
- 18 .Matlub, Ahmad, 1395 AH/1975 CE, Rhetorical Arts: Dar al-Buhuth al-Ilmiyya, Kuwait, 1st ed.
- 19 .Al-Mawsili, Abu al-Fath Uthman ibn Jinni (d. 392 AH), 1420 AH/1999 CE, Al-Muhtasib fi Tabyin Wujuh Shawadh al-Qira'at wa al-Idah 'anha: Ministry of Awqaf - Supreme Council for Islamic Affairs.
- 20 .Al-Hamdani, Ibn Aqil Abdullah ibn Abd al-Rahman (d. 769 AH), Sharh Ibn Aqil 'ala Alfiyya Ibn Malik: edited by Muhammad Muhyi al-Din, Dar al-Turath - Cairo, Dar Misr, Sa'id Jawda al-Sahhar & Partners, 20th ed., 1400 AH/1980 CE.